

الجواسيس يتغلغلون في معازل النظام الإيراني

تسلل خارجي بطيء اخترق مراكز القوة الأكثر تحصينا



حصانة في مهب الريح

لفائدة جهات أجنبية، وهو ما فنته دوائر إعلامية تعمل معها. ومثلت العقيلة التي أصبحت سائدة العامل الذي وجه شكوك الجهاز الأمني إلى الأفراد والمؤسسات المرتبطتين بالمكونات المنتخبة في الدولة التي تأسست بعد الثورة (أي الجزء "الجمهوري" من جمهورية إيران الإسلامية، الذي استمد قوته من أليات تشبه تلك السائدة في الدول الغربية الديمقراطية).



ميسم بهر افش

استخبارات دول غربية مناوئة لسياسات طهران نجحت في اختراق مراكز القوة الأساسية داخل النظام الإيراني

وازدادت هذه العقيلة تغلغلا داخل دوائر الاستخبارات والشعب الإيراني، إذ دفعت حملة "أقصى قدر من الضغط" التي فرضتها إدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب على الحكومة في طهران النظام السياسي الإيراني المقسم إلى التجانس والإجماع حول مسائل الأمن من أجل البقاء.

وفي مواجهة التهديدات العسكرية المتزايدة في الخارج ونضاعف الاضطرابات في الداخل، خلص القادة الإيرانيون إلى أنهم لن يستطيعوا مواصلة طريقهم دون التدقيق في وجود العملاء والجواسيس المحتمل في المكاتب المنتخبة في البلاد مثل الرئاسة والبرلمان أين يتمتع مختلف السياسيين الذين يتبنون المبادئ الإصلاحية بنفوذ أفضل، وفي أكثر المؤسسات التي تحمل الأفكار الثورية والمعادية للغرب في الدولة.

ويشير بهر افش في خاتمة مقاله إلى أنه "بعد أربعة عقود من الاستيلاء على السفارة الأميركية في طهران، فإن القيادة الإيرانية تعمل على الحفاظ على الروح المناهضة للغرب داخل جهازها الأمني وعلى قبضتها داخل مختلف هياكل الجمهورية"، مستخدمة المعركة الهادفة لاقلاع "عرب التجسس" الغربي ضمن السرد الذي يربط خامنئي الترويج له في الداخل والخارج، لكن الأمور بدأت تتغير مع تزايد عدد الإيرانيين الذين يروون قصة مختلفة تماما، حيث يتواجد بعضهم داخل المؤسسة الاستخباراتية نفسها.

الحكومة الإيرانية رسميا بـ"الفتنة الخضراء"، وبدعم من المرشد الأعلى، ساعدت منظمة الاستخبارات في الحرس الثوري الإيراني في حماية المؤسسة المنتخبة (التي يشار إليها محليا باسم "الدولة العميقة" أو "نواة القوة" في الجمهورية الإيرانية الإسلامية) ضد التهديدات السياسية والأمنية في الداخل والخارج. وبذلك، أتت المنظمة أجدة سياسية واضحة تتمحور حول تمكين ركائز الدولة الثورية وتهميش منافسيها. وتتعاون وكالات الاستخبارات

الإيرانية المتنافسة في القضايا الحيوية التي تتعلق بالأمن القومي. لكن، تحول تركيز مهام منظمة الاستخبارات في الحرس الثوري الإيراني إلى حماية جوه الجمهورية الإسلامية الثورية من العصيان وحتى التمرد داخل صفوف الاستخبارات الحكومية والجيش. وكانت وزارة الاستخبارات، التي اقتربت من الجناح المعتدل للمؤسسة خلال فترة رئاسة خاتمي، "تصنع" جواسيس دوريا لأغراض سياسية وخوفا الإيرانية. لكن، تعدد حملة مكافحة التجسس الحالية التي تركز على القوى الثورية مذهبا جديدا. فبالنسبة لوكالة ذات أهمية حيوية مثل منظمة استخبارات الحرس الثوري الإيراني التي عانت من إخفاقات أمنية متكررة، يخلف ترك هذه الإخفاقات بلا إجابة تكلفة سياسية كبيرة للقيادة الإيرانية مع تزايد خطر تآكل سلطة المؤسسات المنتخبة والروايات الثورية.

بارانويا النظام

شكلت الجوسسة بارانويا حقيقية لنظام طهران في تعامله مع السفارات والوفود الأجنبية كما مع الكفالات الإيرانية التي تتعاون مع جهات خارجية أو تحمل جنسية مزدوجة. فقبل أربعين عاما، أوعد الحكام الجدد لإيران لمجموعة تدعى الطلاب المسلمين تابعين لخط آية الله الخميني باقتحام السفارة الأميركية في طهران واحتجاز موظفيها كرهائن، معتبرين السفارة الأجنبية بأنها "عرين للتجسس". وهي عملية خلقت أزمة دبلوماسية حادة بين إيران والولايات المتحدة بعد أن توصلت احتجاجات الرهائن 444 يوما من 4 نوفمبر 1979 حتى 20 يناير 1981. ويقتب أثار أزمة الرهائن بارزة على علاقات إيران مع الولايات المتحدة إلى اليوم، وإن كان تأثيرها أقل وضوحا في واشنطن. وبقي الحدث يرمز إلى رؤية الحكومة الإيرانية للمخابرات والاستخبارات المضادة. ومنذ اقتحام السفارة، واصلت جمهورية إيران الإسلامية بحثها عن الجواسيس والمسللين أينما كان أثر الغرب قويا. وامتدت هذه الفكرة لمعقد بعد أن عززتها أيديولوجيا النظام. واعتقلت السلطات الإيرانية الناشط البيئي كاوس سيد إمامي وزهرة كاظمي، وهما كنديان من أصول إيرانية، وتوفيا داخل السجن، الأمر الذي لاقي تنديدا دوليا كبيرا.

الروسية يوليا يوزيك بتهمة التجسس

استخباراتية حساسة لإسرائيل مقابل الحصول على ميزة شخصية أو تنظيمية. وتشرت وسائل الإعلام المنتخبة التهم الموجهة إليه بمواقفة الحرس الثوري الإيراني من أجل تخويف المسريين أو المتسللين المحتملين. وكشفت الصحافي غلبور في تسجيلات صوتية مسربة له من سجن "إفخين" عن شبكات الفساد الواسعة في إدارة الاستخبارات لدى الحرس الثوري والقضاء، أين يهيمن المتشددون المقربون من خامنئي.

ولاء الكوادر

أوضح تقرير الفورين بوليسي أن القادة الإيرانيين يخشون أن يدفع التشكيك في المتشددين إلى إضعاف قاعدة دعمهم وتخفيف حدة قبضتهم على السلطة، لذلك ترفض القيادة الإيرانية العليا الرأي القائل إن "أوكار التجسس" الحقيقية تكمن في معازل الدولة المنتخبة. وتمثل الأوساط المحافظة القواعد الصلبة لنظام طهران لذلك يعمل خامنئي على تعزيز مكانتها وولائها. ويرفض الاتهامات الموجهة إليها، باعتبار أن اهتزاز صورتها يؤثر على وضعه بشكل مباشر.

ففي خطاب القاه في 26 سبتمبر، حث المرشد الأعلى السلطات الإيرانية على توظيف "قوى متدينة وثورية" في "مراكز الدولة الحرجة"، لأنها تشمل نفس الأشخاص الذين تحركوا للدفاع عن الجمهورية الإسلامية خلال الاحتجاجات الشعبية في سنتي 2009 و2017 ضد الأعداء.

وكانت احتجاجات سنة 2009، المعروفة باسم "الثورة الخضراء"، نتيجة للتشكيك في نزاهة الانتخابات الرئاسية الإيرانية، حيث يشتهر في تزويرها لصالح محمود أحمدي نجاد. وامتدت حركات المعارضة التي نذرت بنتائج الانتخابات والقمع العنيف الذي اعتمدته الدولة في مواجهة الاحتجاجات على مساحة واسعة خلقت مخاوف جدية في صفوف المسؤولين الذين أدركوا احتمال العصيان والانقلاب داخل نظام الأمن والمخابرات الوطني. لذلك، وبناء على أوامر خامنئي، تعامل الحرس الثوري الإيراني مع هذا الاحتمال من خلال تطوير وحدة استخباراته الخاصة ليصبح منظمة أكبر توازي وزارة الاستخبارات في ثقلها.

وقرر خامنئي تعيين رجل دين كبير يدعى حسين طائب لرئاسة هيئة الاستخبارات التابعة للحرس الثوري الإيراني. وكان شريكا وثيق به خلال السنوات التي تلت الثورة. ويتمتع طائب بخبرة في مجال مكافحة التجسس بالإضافة إلى ميزة العلاقات الوثيقة التي جمعه بخامنئي والحرس الثوري الإيراني. وجعلت هذه المؤهلات التي دعمت سجله المتشدد في التعامل مع العناصر المعادية للثورة من هذا الشخص خيارا مناسباً لتنظيم حملة الاستخبارات والأمن لقمع الاحتجاجات التي جاءت بعد انتخابات سنة 2009 والتي أسمتها

نتباهو "إنها تضمّنت دخول عناصر من الموساد إلى طهران ثم إلى المنشأة أين تمكنوا من تحميل الوثائق وشحنها إلى إسرائيل في نفس الليلة".

وتشير مثل هذه الإخفاقات إلى خلل في عمل أكثر أجهزة الدولة سرية. وتنتشر بين أوساط الجمهور الإيراني رواية مفادها أن الجواسيس يتركزون بين المتشددين، وتحول وصف "أوكار التجسس الحقيقية" للإشارة إلى الهيئات الحكومية الأكثر ثورية في مبادئها.

ففي أواخر شهر أغسطس، انشق الصحافي أمير توحيد فاضل الذي كان يعمل في وكالة أنباء موج المنتخبة إلى السويد. وكان الصحافي يتمتع بأوراق اعتماد قوية بين المتشددين، واكتسب ثقة شخصيات وأعضاء مؤثرين في جهاز الأمن بعد أن وظف علاقاته الإعلامية لتعزيز مصالحهم السياسية وسط المناقشات الشرسية بين الفصائل. لكنه أثار من خلال طلب اللجوء في السويد أسئلة حول إخلاص المتشددين في دوائر الحكومة "الثورية" الداخلية وموثوقيتها. وفي غضون أيام من انشقاق فاضل، ألقي القبض على عدد من الذين يلقون الخطاب الدينية ويحتفلون بإنجازات الشخصيات الشيعية في التاريخ للاستجواب في تورطهم في التجسس لصالح إسرائيل.

وقبل سنتين، اعتقل 3 آخرين مرتبطين بميليشيا الباسيج بتهم مماثلة. وغالبا ما يعتبر المقربون من الهيئات الحكومية المنتخبة مثل مكتب المرشد الأعلى، محصنين ضد الاختراق والارتباط بشبكات الجوسسة التي تستهدف النظام. وبالتالي لم يكونوا محل متابعة ومراقبة من قبل الأجهزة الحكومية المختصة في الكشف عن التجسس، لكن قصصا كثيرة تثبت أن هذه المراكز أضحت أوكار التجسس القابلة للاختراق.

وتعد قصة الصحافيين السابقين موقع إلكتروني متشدد تابع للحرس الثوري الإيراني يدعى "عماربيون"، محمد حسين رستمي ورضا غلبور، مدمشة. فالإثنان سجنا في أواخر سنة 2016 بتهمة التجسس لصالح إسرائيل. وكانا من المؤثوق بهم الذين يتمتعون بعلاقات وثيقة بكار مسؤولي الحرس الثوري. وبعد رستمي كمقاتل شبه عسكري في الحرب الأهلية السورية في فيلق تابع للحرس الثوري. ونشر غلبور كتاب "التنتصت على الأشباح" في سنة 2002 أين انتقد أداء وزارة الاستخبارات الإيرانية في عهد الرئيس الإصلاحي السابق محمد خاتمي. ووفقا لمصدر من داخل دوائر متشدة من النخبة، كلف الحرس الثوري الإيراني غلبور بـ"مهمة تخريبية" تقوؤ مصداقية وزارة الاستخبارات التي اعتبرها "هيكلا ثوريا منافسا" غير موثوق به.

وقالت المجلة الأميركية إن "هذا البرنامج كان حساسا وتطلب درجة عالية من الثقة". لهذا السبب، شكلت اتهامات التجسس صدمة للكثيرين وأثارت تساؤلات حول مصداقية الحرس الثوري الإيراني وكفائه، حيث سمح لـ"خائن" بالعمل ضمن صفوفه الأعمق لسنوات. لم يكن غلبور جاسوسا بالمفهوم التقليدي، حيث يقال إنه سرب معلومات

تسوّقت البرويغاندا الإيرانية صورة مفادها أن نظام الملالي محصن ومنيع عن الاختراق، غير أن شبكات التجسس التي ما فتئت تخترق نواته الأكثر تشددا والتصاقا بمشروع ولاية الفقيه، الحرس الثوري والأوساط الدينية المتشددة، كشفت حقيقة هذه الادعاءات والمغالطات. وفي تأكيد على خطورة الوضع دق وزير الاستخبارات الإيراني محمود علوي ناقوس الخطر، معتبرا أن مسألة الجوسسة باتت تهدد وجود النظام برمته، خاصة وأن طهران تلقت في السنوات الماضية ضربات موجعة وخسائر فادحة أدت إلى اغتيال علمائها وإفشاء أسرار برنامجها العسكري.

طهران - دأبت إيران في إطار مشروعها التوسعي في منطقة الشرق الأوسط على الاعتماد على الجوسسة كوسيلة لاختراق صناع القرار والدوائر الرسمية الضيقة في البلدان المجاورة، من خلال توظيف الموالين لها من تنظيمات وشخصيات، لكن مسؤولي نظام طهران لم يدر في خلداهم أن طريقهم في التعامل تلك ستترد عليهم لتصبح أداة مستخدمة لاختراق مراكز النظام الأشد ولاء وحرصينا.

هذا ما كشفت عنه مجلة فورين بوليسي الأميركية في تقرير للمختص في الشؤون الإيرانية وطالب الدكتوراه في جامعة لوند في السويد، ميسم بهر افش، مبرزا أن استخبارات دول غربية مناوئة لسياسات طهران توصلت إلى اختراق مراكز القوة الأساسية داخل النظام عبر زرع جواسيس لها، أساسا ضمن جهاز الحرس الثوري والدوائر الدينية المتشددة.

العدو في الداخل

كشف التقرير أن هذا الاختراق أثار هلعا في صفوف القيادة الإيرانية، ما دفع بوزير الاستخبارات محمود علوي إلى دق ناقوس الخطر على القنوات التلفزيونية يوم 24 أغسطس الماضي.

واعتبر الوزير الإيراني أن من أسماهم بـ"الأعداء (الجواسيس) أصبحوا أقرب مما كانوا عليه في تاريخ جمهورية إيران الإسلامية، إذ اقتربوا من المطلعين على ما يجري في البلاد". وبين علوي المقرب من المرشد علي خامنئي، أن الجواسيس باتوا موجودين في مراكز "قوة متشددة مثل الحرس الثوري الإيراني" الذي يدير منظمته الاستخباراتية الموازية الخاصة. ويفيد بهر افش أن الوزير الإيراني كشف أن السلطات العليا في البلاد تفاجت من محتويات تقارير أعدتها وزارته حول توضع الجواسيس داخل الحكومة.

وذكر أنه كرد فعل أولي على حجم الاختراق الأمني الهائل، من خلال توضع الجواسيس داخل أجهزة الدولة، سارعت سلطات طهران إلى الإعلان عن تشكيل إدارة مختصة في تسلل الجواسيس داخل وزارة الاستخبارات لتمثل مهمتها الرئيسية في مراقبة أجزاء الدولة



محمود علوي وزير الاستخبارات الإيراني
«الجواسيس باتوا موجودين في مراكز قوة مثل الحرس الثوري الإيراني»